تفسير إبن كثير

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ

وقوله : (وما يؤمن أكثرهم باالله إلا وهم مشركون) قال ابن عباس : من إيمانهم ، إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ ومن خلق الأرض ؟ ومن خلق الجبال ؟ قالوا : " االله " ، وهم مشركون به . وكذا قال مجاهد ، وعطاء وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .وهكذا في الصحيحين أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . وفي الصحيح : أنهم كانوا إذا قالوا : " لبيك لا شريك لك " يقول رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " قد قد " ، أي حسب حسب ، لا تزيدوا على هذا .وقال االله تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان : 13] وهذا هو الشرك الأعظم الذي يعبد مع االله غيره ، كما في الصحيحين . عن ابن مسعود قلت : يا رسول االله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل الله ندا وهو خلقك " .وقال الحسن البصري في قوله : (وما يؤمن أكثرهم باالله إلا وهم مشركون) قال : ذلك المنافق يعمل إذا عمل رياء الناس ، وهو مشرك بعمله ذاك ، يعني قوله تعالى : (إن

المنافقين يخادعون االله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون االله إلا قليلا) [النساء : 142] .وثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالبا فاعله ، كما روى حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن عروة قال : دخل حذيفة على مريض ، فرأى في عضده سيرا فقطعه - أو انتزعه - ثم قال : (وما يؤمن أكثرهم باالله إلا وهم مشركون)وفي الحديث : " من حلف بغير االله فقد أشرك " . رواه الترمذي وحسنه من رواية ابن عمروفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره ، عن ابن مسعود - رضي االله عنه - قال : قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " .وفي لفظ لهما : " [الطيرة شرك] وما منا إلا ولكن االله يذهبه بالتوكل " .ورواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن يحيى الجزار عن ابن أخي ، زينب [عن زينب] امرأة عبد االله بن مسعود قالت : كان عبد االله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه ، قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير ، قالت : فدخل فجلس إلى جانبي ، فرأى في عنقي خيطا ، قال :

ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت : خيط رقي لي فيه . قالت : فأخذه فقطعه ، ثم قال : إن آل عبد االله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " . قالت : قلت له : لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف ، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها ، فكان إذا رقاها سكنت ؟ قال : إنما ذاك من الشيطان . كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كف عنها : إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " أذهب البأس رب الناس ، اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما " .وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن عيسى بن عبد الرحمن قال : دخلنا على عبد االله بن عكيم وهو مريض نعوده ، فقيل له : تعلقت شيئا ؟ فقال : أتعلق شيئا! وقد قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " من تعلق شيئا وكل إليه " ورواه النسائي عن أبي هريرة .وفي مسند الإمام أحمد ، من حديث عقبة بن عامر قال : قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " من علق تميمة فقد أشرك " وفي رواية : " من تعلق تميمة فلا أتم االله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع االله له "وعن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه ، قال : سمعت

رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : " قال االله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، ومن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " . رواه مسلم .وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : " إذا جمع االله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ، ينادي مناد : من كان أشرك في عمل عمله الله فليطلب ثوابه من عند غير االله ، فإن االله أغنى الشركاء عن الشرك " . رواه أحمد .وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد - يعني : ابن الهاد - عن عمرو ، عن محمود بن لبيد ، أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول االله ؟ قال : " الرياء ، يقول االله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " .وقد رواه إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، به .وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، أنبأنا ابن لهيعة ، أنبأنا ابن هبيرة ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد االله بن عمرو قال : قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " من ردته الطيرة عن حاجة ،

فقد أشرك " . قالوا : يا رسول االله ، ما كفارة ذلك ؟ قال : " أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك " .وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد االله بن نمير ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ، عن أبي علي - رجل من بني كاهل - قال : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل . فقام عبد االله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا واالله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون ، قال : بل أخرج مما قلت ، خطبنا رسول االله صلى االله عليه وسلم [ذات يوم] فقال : " يا أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل " . فقال له من شاء االله أن يقول : فكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول االله ؟ قال : " قولوا : اللهم إنا نعوذ بك [من] أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه " .وقد روي من وجه آخر ، وفيه أن السائل في ذلك هو الصديق ، كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ، من حديث عبد العزيز بن مسلم ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي محمد ، عن معقل بن يسار قال : شهدت النبي - صلى االله عليه وسلم - أو قال : حدثني أبو بكر الصديق عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - أنه قال : " الشرك أخفى

فيكم من دبيب النمل " . فقال أبو بكر : وهل الشرك إلا من دعا مع االله إلها آخر ؟ فقال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل " . ثم قال : " ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره ؟ قل : اللهم ، أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك مما لا أعلم " .وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوي ، عن شيبان بن فروخ ، عن يحيى بن كثير ، عن الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا " . قال : فقال أبو بكر : يا رسول االله ، فكيف النجاة والمخرج من ذلك ؟ فقال : " ألا أخبرك بشيء إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره ؟ " . قال : بلى ، يا رسول االله ، قال : " قل : اللهم ، إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم " .قال الدارقطني : يحيى بن كثير هذا يقال له : " أبو النضر " ، متروك الحديث .وقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وصححه ، والنسائي ، من حديث يعلى بن عطاء ، سمعت عمرو بن عاصم سمعت أبا هريرة قال : قال أبو بكر الصديق ، رضي االله عنه : يا رسول االله ، علمني شيئا أقوله إذا

أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي . قال : " قل : اللهم ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه " .وزاد أحمد في رواية له من حديث ليث من أبي سليم ، [عن مجاهد] عن أبي بكر الصديق قال : أمرني رسول االله صلى االله عليه وسلم أن أقول . . . فذكر هذا الدعاء وزاد في آخره : " وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم " .